(جـ) تعقد العلاقة بين الفردي والجماعي في الشرط الفلسطيني الذي يلغي كل فردية ولا يمنحها معنى إلا من حيث هي علاقة فاعلة في الممارسة الوطنية.

(د) إذا كان «البطل الكلاسيكي» يواجه العالم كي يحقق ذاته وأناه، فإن تحقق الذات الفلسطينية لا يتم إلا بنفي هذه الذات وتحويلها إلى علاقة مساومة، توائم بين الفردي والجماعي في النضال الوطني العام.

أقامت سحر روايتها على الاشكالية المعقدة والمتعددة العناصر، لكن الإشكالية في شجريتها لم تعثر دائما على معادلها الروائي، بل بقيت تتدس بين الخاطىء والصحيح، أو لنقل إن تناقض الواقع جاوز وعي الكاتبة، ودفعه إلى جملة تناقضات. وإذا كان تناقض الرواية في علاقتها مع الواقع الذي تكتبه يشير إلى خصبها وأصالتها، فإن التناقض في كتابتها يشير إلى حدود الوعي الذي تعاملت به كاتبة «الصبار» مع الواقع الفلسطيني تحت الاحتلال. ماذا يعني ذلك؟

رسمت «الصبار» وضع الانسان الفلسطيني في معادلته الصعبة الحل، والتي لا يستقيم أحد طرفيها إلا إذا ألغي الطرف الآخر، أي جعل المعادلة مستحيلة الحل: يقاتل الانسان الفلسطيني عدوا يتعامل معه اقتصادياً ويسلُ لقمة العيش من بين براثنه، أو يتعامل معه اقتصاديا كي يبقى قادرا على قتاله. وفي هذه العلاقة يعاني الإنسان من اضطهاد ثنائي البعد: الاضطهاد القومي والاضطهاد الاقتصادي، ويحاول إعادة صياغة هذه العلاقة، وفي هذه الصياغة تستبين من جديد إشكالية الانسان الفلسطيني في كل تعقدها ونزوعاتها: البعض يضع النضال الوطني النقي في مكان الأولوية، والبعض الآخر يذهب في البحث عن الرغيف ولا يعيش المسألة الوطنية إلا على مستوى الوعي والمعاناة الصامتة، والبعض الثالث يكافح كي يصل إلى مصالحة باهظة بين النضال الوطني والبحث عن الرغيف، والمصالحة تفرض مساومة معينة، وتفترض وعيا واضحا أو شبه واضح يلمس الصراع ويتلمسه في كل مستوياته.

ينهض مشروع «الصبار» إذن، على علاقة الوعي الفلسطيني بواقعه. أما مشروع نقد الرواية فينهض على رصد العلاقة بين وعي كاتبة الرواية والشرط الذي ترسمه روائيا، أي كيف يتعامل الوعي مع الواقع في شكله المكتوب، وكيف ينتقل نص الواقع إلى نص الرواية؟ للإجابة على هذا السؤال، ومن أجل الوصول إلى تقويم للرواية، نذكر بأطروحة أساسية ونعتمدها:

يقترب النص الروائي، في علاقاته المكتوبة، من حركة الواقع عندما يلغي الكاتب ذاته في عملية الكتابة، ويضع بينها وبين النص مسافة معينة تجعل النص في علاقاته معادلاً موضوعيا للواقع أو معادلاً قريبا منه، وعندها يبتعد النص الروائي عن ذاتية الكاتب وينتج قيمة فنية ومعرفة أدبية لأنه يتقدم كنص موضوعي يمسك بما هو جوهري وموضوعي في حركة الواقع، علما بأن الكاتب ينسحب من نصه عندما يتملك الواقع ويدرك تناقض علاقاته، إذ أن حدود الوعي تنعكس بالتأكيد في بناء العمل الروائي ورسم علاقاته، وتدفع كاتب النص إلى التدخل في عمله،وإلى الحديث باسم شخصياته، ورسم مسارها ليس انطلاقا